

فتح القدير

10 - { ثم كان عاقبة الذين أساءوا } أي عملوا السيئات من الشرك والمعاصي { السوأي } هي فعلى من السوء تأنيث الأسوأ وهو الأقبح : أي كان عاقبتهم العقوبة التي هي أسوأ العقوبات وقيل هي اسم لجهنم كما أن الحسنى اسم للجنة ويجوز أن تكون مصدرا كالبشرى والذكرى وصفت به العقوبة مبالغة قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو و { عاقبة } بالرفع على أنها اسم كان وتذكير الفعل لكون تأنيثها مجازيا والخبر السوأي : أي الفعلة أو الخصلة أو العقوبة السوأي أو الخبر { أن كذبوا } أي كان آخر أمرهم التكذيب عاقبة الذين أساءوا والسوأي مصدر أساءوا أو صفة لمحذوف وقال الكسائي : إن قوله : { أن كذبوا } في محل نصب على العلة : أي لأن كذبوا بآيات الله التي أنزلها على رسله أو بأن كذبوا ومن القائلين بأن السوأي جهنم الفراء والزجاج وابن قتيبة وأكثر المفسرين وسميت سوأي لكونها تسوء صاحبها قال الزجاج : المعنى ثم كان عاقبة الذين أشركوا النار بتكذيبهم آيات الله واستهزائهم وجملة { وكانوا بها يستهزئون } عطف على كذبوا داخله معه في حكم العلية على أحد القولين أو في حكم الإسمية لكان أو الخبرية لها على القول الآخر .

وقد أخرج أحمد والترمذي وحسنه والنسائي وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني في الكبير والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل والضيء في المختارة عن ابن عباس في قوله : { الم * غلبت الروم } قال : [كان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم كانوا أصحاب أوثان وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أصحاب كتاب فذكروه لأبي بكر فذكره أبو بكر لرسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : أما إنهم سيغلبون فذكره أبو بكر لهم فقالوا : اجعل بيننا وبينك أجلا فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا وإن ظهرتكم كان لكم كذا وكذا فجعل بينهم أجلا خمس سنين فلم يظهروا فذكر ذلك أبو بكر لرسول الله ﷺ فقال : ألا جعلته أراه قال دون العشر فظهرت الروم بعد ذلك فذلك قوله : { الم * غلبت الروم } فغلبت ثم غلبت بعد بقول الله ﷻ { الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر الله } قال سفيان : سمعت أنهم ظهروا عليهم يوم بدر وأخرج أبو يعلى وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن البراء بن عازب نحوه وزاد أنه لما مضى الأجل ولم تغلب الروم فارسا ساء النبي ما جعله أبو بكر من المدة وكرهه وقال : ما دعاك إلى هذا ؟ قال : تصديقا ﷻ ولرسوله فقال : تعرض لهم وأعظم الخطى واجعله إلى بضع سنين فأتاهم أبو بكر فقال : هل لكم في العود فإن العود أحمد ؟ قالوا نعم فلم تمض تلك السنون حتى غلبت الروم فارسا وربطوا خيولهم بالمدائن وبنوا رومية فقمروا أبو بكر فجاء به أبو بكر يحمله إلى رسول الله ﷺ فقال : هذا

السحت تصدق به وأخرج الترمذي وصحه والدارقطني في الأفراد والطبراني وابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل والبيهقي في الشعب عن نيار بن مكرم الأسلمي قال : لما نزلت { الم * غلبت الروم } الآية كانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين الروم وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم لأنهم وإياهم أهل الكتاب وفي ذلك يقول أ : { ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر أ } وكانت قريش تحب ظهور فارس لأنهم وإياهم ليسوا أهل الكتاب ولا إيمان ببعث فلما أنزل أ هذه الآية خرج أبو بكر يصيح في نواحي مكة { الم * غلبت الروم * في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع سنين } فقال ناس من قريش لأبي بكر : ذلك بيننا وبينكم يزعم صاحبك أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين أفلا نراهنك على ذلك ؟ قال بلى وذلك قبل تحريم الرهان فارتهن أبو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان وقالوا لأبي بكر : لم تجعل البضع ثلاث سنين إلى تسع سنين فسم بيننا وبينك وسطا تنتهي إليه قال : فسموا بينهم ست سنين فمضت الست قبل أن يظهروا فأخذ المشركون رهن أبي بكر فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم فعاب المسلمون على أبي بكر تسميته ست سنين لأن أ قال : { في بضع سنين } فأسلم عند ذلك ناس كثير وأخرج الترمذي وحسنه وابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس أن النبي A قال لأبي بكر : [ألا احتطت يا أبا بكر فإن البضع ما بين ثلاث إلى تسع] وأخرج البخاري عنه في تاريخه نحوه وأخرج الفريابي والترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي سعيد قال : لما كان يوم بدر ظهر الروم على فارس فأعجب ذلك المؤمنين فنزلت { الم * غلبت الروم } قرأها بالنصب : يعني للغين على البناء للفاعل إلى قوله : { يفرح المؤمنون * بنصر أ } قال : ففرح المؤمنون بظهور الروم على فارس وهذه الرواية مفسرة لقراءة أبي سعيد ومن معه وأخرج الحاكم وصحه عن أبي الدرداء قال : سيجيء أقوام يقرأون { الم * غلبت الروم } يعني بفتح الغين وإنما هي غلبت : يعني بضمها وفي الباب روايات وما ذكرناه يغني عما سواه وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس { يعلمون طاهرا من الحياة الدنيا } يعني معاشهم متى يغرسون ومتى يزرعون ومتى يحصدون وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر في قوله : { كانوا أشد منهم قوة } قال : كان الرجل ممن كان قبلكم بين منكبيه ميل